إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء لحمدان بن عثمان خواجه الجزائري الحنفي (ت: 1261هـ) -دراسة وتقديما-

'ithaf almunsafin wal'adba' bimubahith alaihtiraz ean alwaba' By Hamdan bin Euthman Khawajih Aljazayirii Alhanafii, an Introductory descriptive study

د. فؤاد بن أحمد عطاء الله[1،*]

[1] جامعة الجوف -المملكة العربية السعودية

تاريخ الاستلام : 2020/06/23 ؛ تاريخ القبول : 2020/09/06 ؛ تاريخ النشر : 2020/09/20

ملخص:

يتضمّن هذا البحث دراسة وتقديما لمخطوط: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء لحمدان بن عثمان خواجه الجزائري الحنفي (ت: 1261هـ)، وهو كتاب في موضوع الوباء والطاعون، جمع فيه المؤلف بين الدراسة الشرعية والطبية، وتضمّن مباحث ومسائل نفيسة، تتعلق بوجوب الاحتراز والتوقي من الوباء شرعا وعقلا، وقد أراد الباحث التعريف بالمخطوط، وذلك تمهيدا لتحقيقه في أعداد قادمة إن شاء الله تعالى؛ لأنه ولم يحظ بدراسة أكاديميّة جادّة، فاشتمل البحث على تمهيد، ومقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، تضمّنت التعريف بالمؤلِّف، والتعريف بالمخطوط، واستخدم فيها الباحث المنهجين الوصفي والتاريخي، كما خرج البحث بجملة من النّتائج المفيدة منها أن هذا المخطوط النفيس من أجود ما كتب عن الوباء والطاعون من الناحيتين الشرعية والطبية، وأوصى الباحث بالاستمرار في العناية بتراث علماء المسلمين في مختلف العلوم والتخصصات.

الكلمات المفتاحية : مخطوط؛ إتحاف المنصفين والأدباء ؛ مباحث الاحتراز عن الوباء ؛ حمدان بن عثمان؛ خواجه الجزائري؛ الطب النبوي.

Abstract:

Our research includes a study and a presentation of the manuscript: «'ithaf almunsafin wal'adba' bimubahith alaihtiraz ean alwaba'». By Hamdan bin Euthman Khawajih Aljazayirii Alhanafii. In this manuscript he studied issues related to plague in Sharia and medicine, in which the author mentioned. The researcher wanted to publish the manuscript; because it was not published before, and it did not have a serious academic study. So the research included an introduction, two chapters, and a conclusion, which included the definition of the author and the definition of the manuscript, the researcher used the historical approach and the descriptive

approach, as the research reached a number of important results, and the researcher recommended a set of important recommendations related to the subject of research.
Keywords: *Manuscript; 'ithaf almunsafin wal'adba'; alaihtiraz ean alwaba'; Hamdan bin Othman; Khajeh Algerian ; Prophetic Medicine. .*

* المؤلف المرسل: fouadatallah1982@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين، أمّا بعد:

فهذا مخطوط نافع، وكتاب ماتع، عنوانه: "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء"، صنّفهُ الطبيب الفقيه الجزائري حمدان بن عثمان خواجه الجزائري الحنفي (ت: 1261هـ)، يتعلّق موضوعه بالطاعون والوباء، وأحكام الاحتراز والتوقي منهما.

وقد رأيتُ نشر هذا المخطوط وتحقيقه والعناية به؛ لأنه لم يحظ بدراسة علمية فاحصة وجادّة تليق بقيمته العلمية، رغم أنه احتوى على غُرَرِ الفوائد، ودُرَرِ الفرائد.

أهمّية البحث

يكتسي موضوع البحث أهمّيّة كبيرة، يمكن تجليتُها في النّقاط الآتية:

- يتعلّق موضوع المخطوط بالوباء والطاعون من الناحية الشرعية، ومن الناحية الطبية سواء ما اتّصل منها بالطب النبوي أو الطب التجريبي، ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهميّة شرعية وطبية.
- القيمة العلميّة للمخطوط، حيث ضمّنه المؤلّف دراسة شرعية وطبية لأحكام الاحتراز من الوباء والطّاعون، وهو من أجود ما ألفه علماء المسلمين في ضرورة الاحتراز من الوباء الطاعون.
- إبراز إسهامات علماء وفقهاء المسلمين في التّأليف في موضوع الوباء والطاعون، وما يتصل بذلك مما يتعلّق بعلمَي الطب النبوي والطب التجريبي.
- إثراء المكتبة الإسلامية والعربيّة بهذا المخطوط، الذي لم يحظَ بالتحقيق من قبل.
- تقديم فكرة طيّبة عن حقبة تاريخيّة مهمّة في تاريخ الأمة الإسلاميّة، وذلك من خلال عرض شيء من علومها، وفهومها، وثقافاتها، وتجلية مشكلاتها الاجتماعيّة، والصّحّيّة، وكيف كان العلماء رحمهم الله تعالى يتعاملون معها، وكيف كانوا يسهمون بشكل إيجابيّ واضح في خدمة أمتهم، وفي حلحلة مشكلات عصرهم.
- لا شكّ أنّ خدمة التّراث وتحقيق المخطوطات ونشرها من الأعمال الجليلة التي ينبغي أن يعتني بها الباحثون في الدّراسات الشّرعية، فإنّه لا تزال الآلاف من المخطوطات محجوبة عن النّور، مغيّبة في خزائن المخطوطات، معرّضة للتّلف والضّياع، وهذا البحث ما هو إلا جهد متواضع في خدمة تراث علماء الأمّة الإسلاميّة وحماية علومهم ومؤلّفاتهم.

إشكاليّة البحث

يجيب المؤلف في هذا المخطوط على جملة من التساؤلات الشرعية والطبية المتعلقة بالاحتراز من الوباء والطاعون، فقد ناقش في هذا الكتاب القائلين بأنه لا جدوى من الاحتراز والتوقّي من الطاعون، وبأنه من عادات النصارى والفرنج التي ينبغي على المسلمين عدم متابعتهم فيها، إضافة إلى ذلك فإنّ طبيعة هذا البحث، وكونه

تعريفا ودراسة لمخطوط، تحتّم علينا طرح تساؤلات أخرى، حول صحّة نسبة المخطوط إلى المؤلّف، ونحو ذلك ممّا يقتضيه تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث.

دون أن ننسى أمرا آخر في غاية الأهميّة، وهو كون المؤلّف من متأخري فقهاء الحنفية في الجزائر، فإنّ هذا يدفعنا إلى التّساؤل أيضا عن جهود فقهاء المسلمين في التأليف في الأمراض والأوبئة والطواعين، وما يرتبط بها من قضايا الطبّ والصّيدلة.

فجميع هذه القضايا تشكِّلُ في الحقيقة الإشكاليّة المِحوريّة التي يُحاولُ هذا البحثُ الإجابة عنها.

الدّراسات السّابقة

ألّف علماء الإسلام في أحكام الوباء والطّاعون كتبا كثيرة منها:

1. (كتاب الطّواعين) للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن أبي الدّنيا (281هـ).
2. (جزء في الطّاعون) لتاج الدّين عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السّبكي (771هـ).
3. (الطّبّ المسنون في دفع الطّاعون) لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر ابن أبي حجلة التّلمساني (776هـ).
4. (جزء في الطاعون)، لمؤلّفه: محمد بن بهادر بن عبد اللَّه بدر الدين الزركشي المصري الشافعي (ت: 794هـ).
5. (بذل الماعون في فوائد الطاعون)، في الحديث والفقه، لمؤلّفه: أحمد بن محمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ).
6. (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، لمؤلّفه: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد, السيوطي (ت: 911هـ).
7. (تحفه الراغبين في بيان أمر الطواعين)، في الفقه، لمؤلّفه: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 926هـ).
8. (تحفة النجباء بأحكام الطاعون والوباء)، لمؤلفه: محمد بن علي ابن طولون الدمشقي (ت: 953هـ).
9. (عمدة الراوين في أحكام الطواعين)، في الحديث والفقه، لمؤلفه: شمس الدين محمد بن محمد الحطاب الرعيني المالكي (ت: 954هـ).
10. (الشفاء في دواء الوباء)، في الطب، لمؤلّفه: احمد بن مصطفى بن خليل طاشكبري زاده (ت: 968هـ).
11. (جواب في الطاعون على سؤال ورد من اليمن)، في الفقه الشّافعي، لمؤلّفه: احمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي (ت: 973هـ).
12. (منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين)، لمؤلّفه: زيد الدين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي الشافعي (ت: 1031هـ).
13. (تحقيق الظنون بأخبار الطاعون)، في الفقه الحنبلي، لمؤلّفه: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي (ت: 1033هـ).
14. (جواب عمن حل ببلادهم طاعون هل يجوز لهم الخروج منه فرارا أم لا)، لمؤلّفه: أحمد بن مبارك بن محمد اللمطي السجلماسي (ت: 1156هـ).
15. (أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون)، في الحديث والفقه، لمؤلفه: محمَّد بن الحسن بن مسعود البنَّاني الفاسي المغربي المالكي (ت:1194هـ).

16. (حُسنُ البِنا في جواز التحفظ من الوبا)، في الطب، لمؤلفه: محمد بن محمد بن حسين بيرم (ت: 1247هـ).

وغير ذلك كثير، وهي تربو بعد الإحصاء على السبعين مصنّفا في أحكام الطّاعون، منها ما هو مطبوع منشور، ومنها ما لا يزالُ مخطوطا[1]، وهذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه؛ واحد من تلك المخطوطات المُغفلة، التي لم تحظ بالدّراسة الجادة والفاحصة، فقد طبع طبعة قديمة في حياة المؤلف في أسطنبول، سنة 1838م، كما قام الدكتور محمد بن عبد الكريم بتحقيقه ونشره في الجزائر سنة 1968م، غير أن هذين العملين على ما يتصفان به من السبق والفضل إلا أنه لا وجود لهما بين أيدي الناس اليوم، خاصة وأن وباء كورونا هو أحد قضايا الساعة في عالمنا المعاصر كله، وهذا ما دفعني إلى تحقيق الكتاب ونشره.

والإضافة العلميّة التي يُقدّمها هذا البحث أنّه يُخرج إلى عالم النّور كتابا متخصّصا في أحكام الاحتراز والتوقّي من الوباء والطاعون، وما يتعلّق به من قضايا الطبّ النبوي والطب التجريبي، ألّفه أحد فقهاء الجزائر المتأخرين، ولا شكّ أنّ في هذا إثراءً للمكتبة الإسلامية والعربيّة بهذه الإضافة العلميّة الجادّة.

خطّة البحث

يشتمل البحث على تعريف ودراسة للمخطوط، وأمّا النصّ المُحقّق للكتاب فسأنشره في أعداد لاحقة بإذن الله تعالى، وتحقيقا لهذا الغرض فقد انتظمت خطة البحث في مقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

- أمّا المقدّمة فتشتمل على التعريف بالبحث، وبيان أهميّته، وخطّته، والدّراسات السّابقة.
- وأما التمهيد فعرفت فيه مصطلح الوباء، ومصطلح الطاعون، وبيّنتُ العلاقة بينهما.
- وأمّا المبحث الأوّل ففيه التعريف بالمؤلِّف، وذلك ببيان اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته وطلبه للعلم، وأعماله ووظائفه، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلميّة، ووفاته، ومؤلَّفاته.
- وأمّا المبحث الثّاني فيشتمل على التّعريف بالمخطوط، وموضوعه، وصحة نسبته، ووصف نسخته الخطيّة ونحو ذلك.
- وأمّا الخاتمة ففيها أهمّ نتائج البحث، والتوصيات المقترحة.

منهج البحث

استخدمت في إعداد هذا البحث جملة من المناهج العلميّة، منها:

- المنهج التّاريخي، واستخدمته في ضبط ترجمة تاريخيّة للمؤلِّف.
- المنهج الوصفي، واستخدمته في وصف النّسخة الخطيّة للكتاب وموضوعاته ومحتوياته.
- منهج تحقيق النّصوص، واستخدمته في إخراج النّصّ المحققّ للكتاب كما أراده المؤلِّف -رحمه الله-، أو على أقرب صورة له.

وقد قمت بجملة من الخطوات الإجرائيّة منها:

- استخدمتُ في التحقيق أسلوب النصّ المختار، فقابلت بين النّسخ الخطيّة، وأثبتّ الفروق في الهامش.
- نسخت النّصّ المحقّق، وكتبته وفق قواعد الإملاء الحديثة.

- عزوتُ الآيات القرآنيّة إلى سورها.
- خرّجتُ الاحاديث النّبويّة، وذلك بالاكتفاء بالصّحيحين أو أحدهما، إذا كان الحديثُ فيهما أو في أحدهما، أمّا إذا لم يكن كذلك فإنّني أخرجه في كتب السنّة الأخرى، مع بيان درجة الحديث صحّة أو ضعفا ما أمكن ذلك، وأذاكر عند التّخريج اسم الكتاب، واسم الباب، ورقم الحديث، ما أمكن ذلك.
- نسبتُ الأقوال والأشعار إلى قائليها.
- شرحت الكلمات والألفاظ الغريبة.
- ترجمت للأعلام المغمورين، الذين ورد ذكرهم في البحث.
- وضعتُ العناوين التّوضيحية التي أدرجتها من عندي في النصّ بين معقوفتَين.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد: التعريف بالوباء والطاعون

سأبيّن في هذا التمهيد بإذن الله تعالى حقيقة الوباء وحقيقة الطاعون، والمراد بالمؤلّفات في الوباء والطّاعون.

الفرع الأول: تعريف الوباء لغة واصطلاحا

الوباء لغة: هو الطّاعون، ويطلق على كلّ مرض عام، وأرض وبِئةٌ: إذا كثُر فيها المرض.[2]

الوباء اصطلاحا: هو المرض العام، الذي ينتشر، وهو لا يختلف عن معناه اللّغوي.

الفرع الثاني: تعريف الطّاعون لغة واصطلاحا

الطاعون لغة: هو داء معروف عند العرب، وهو مرض عام، والمصاب بالطاعون مطعون[3]، ويقال له طعين، قال الشّاعر:

فبتّ كأنّني حَرِجٌ لعينٌ نفاه الناس، أو دَنِسٌ طعين[4]

الطاعون اصطلاحا: هو مرض من الأمراض المعدية القاتلة[5]. وهو لا يختلف عن معناه اللغوي.

وأما العلاقة بين الوباء والطّاعون فقد بيّن العلامة ابن القيم رحمه الله (751هـ) أنّ بينهما عموما وخصوصا، فكلّ طاعون وباء، وليس كلّ وباء طاعونا[6]، أيّ أنّ الوباء أعم من الطاعون، والطاعون أحد أصناف وأنواع الوباء.

المبحث الأوّل: التّعريف بالمؤلّف

خصّصت هذا المبحث للتّعريف بمؤلِّف المخطوط، من جهة اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته العلميّة، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلميّة ومؤلّفاته.

أوّلا: اسمه ونسبه

هو حمدان بن عثمان خواجه الجزائري، الحنفي.[7]

ثانيا: مولده

ولد المؤلّف في مدينة الجزائر، نحو سنة ألف ومئة وتسع وثمانين للهجرة (1189هـ).[8]

ثالثا: نشأته وطلبه للعلم

نشأ المؤلف رحمه الله في الجزائر، "وبها تعلم، ودرس القانون على أبيه، ثم قام مقامه بعد وفاته، وأصبح أستاذا في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية، وفي سنة 1784م صحب خاله في زيارة لأهم مدن البلقان والقسطنطينية وغيرها، وفي سنة 1820 زار فرنسا وتعلم اللغة الفرنسية، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعدم وفاء الفرنسيين بالشروط التي اشترطتها الحكومة التركية عليهم قبل أن تسلم لهم البلاد، نظم الجزائريون بزعامة حمدان أول حزب وطني سياسي عرف بلجنة المغاربة، أو حزب المقاومة، فقارع حمدان الاستعمار الفرنسي بقلمه ولسانه، فنفاه الفرنسيون من الجزائر، فكان أول عربي مسلم يطرد من وطنه من قبل دولة أجنبية من أجل قضية وطنية، وبعد أن أقام مدة قصيرة في فرنسا (1833 -1836م) سافر إلى القسطنطينية، حيث اشتغل بالتأليف والترجمة، والتحرير لجريدة "تقويم وقائع" الى حين وفاته".[9]

رابعا: شيوخُه

أخذ المؤلف العلم في بداية نشأته عن والده، ثم درس دراسة نظامية، ولذلك لم تذكر طتب التراجم شيوخه الذين أخذ عنهم العلم.

خامسا: تلاميذه

لم تذكر كتب التراجم تلاميذه وطلاب المؤلّف الذين تتلمذوا على يديه.

خامسا: مكانته العلميّة

تبوّأ المؤلّف –رحمه الله- مكانة مرموقة، وأثنى عليه صاحب "معجم المؤلفين"، ووصفه بالفاضل[10]، وقال عنه صاحب "معجم أعلام الجزائر"، ما نصه: "كاتب سياسي، من رواد الحركة الوطنية الجزائرية"[11].

سادِسًا: وفاته

توفي المؤلف -رحمه الله- في مدينة القسطنطينية سنة خمس وخمسين ومئتين وألف للهجرة (1255هـ).[12]

سابِعًا: مؤلَّفاته

للمؤلِّف –رحمه الله- مؤلّفات كثيرة، منها:

1. "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء"، وهو الكتاب الذي أسعى إلى دراسته في هذا البحث.
2. "المرآة" فرغ من تأليفه سنة 1833م.
3. "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الامكان أبدع"، شرح فيها قول الإمام الغزالي: "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، فرغ منها سنة 1252هـ (1837م).[13]

4-المبحث الثّاني: التّعريف بالمخطوط

خصّصت هذا المبحث للتّعريف بالمخطوط من جهة عنوانه، وسبب تأليفه، وموضوعاته، وموارده، وصحّة نسبته للمؤلّف، ووصف نسخه الخطيّة.

أولا: عنوان المخطوط

سمّى المؤلّف –رحمه الله- هذا المخطوط بعنوان: (إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء)، وهي العبارة نفسُها التي أثبتها في صفحة العنوان، وكذا كرّرها في مقدّمة المخطوط، وهو كذلك العنوان الذي عُرِف به الكتاب في كتب التّراجم وفهارس الكُتُب.[14]

ثانيا: سبب تأليفه

ذكر المؤلف رحمه الله سبب تأليفه لهذا الكتاب، وهو ما رآه من تهاون من المسلمين بالأخذ بأسباب الاحتراز والتوقيّ من الوباء والطاعون، الذي أصاب الجزائر آنذاك، فقال ما نصه: "ولما رأيت الخلل الداخل على المسلمين، بإهمال مثل هذه القواعد وإنكارها، والتزام التقشف والتعصب في عدم دفع المضرة وملاحظة أغوارها، في كثير مما ابتكره الفرنج بدعواهم، واشتهرت نسبته إليهم، مما يتعلق بأمر دنياهم، حتى شدّد البعض النكير على الذين يستحسنونها، وعدّوا ما يطرأ لهم من المضرّة قربة يحتسبونها، وكنت قد تجشمتُ أسفارا، كما قيل: هي أبعد من آمالي، وصرفت فيها برهة من العمر لولا اتهام النفس لعددتها من صالح أعمالي، فكنت رأيت بالبلاد الفرنجية انتظام أمورهم، واعتناءهم بأمور السياسة في صيانة جمهورهم خصوصا، حيث التزموا لدفع الوباء عنهم ما جربوه من الاحتماء والاحتراز بالاستقراء، في عدم إدخال الداخل إليهم إلا بعد تحقّق البراءة والاستبراء، وجعلوا لذلك حكاما في أماكن حصينة، مع غاية الاحتياط، وسموا ذلك "كرنتينة"، فأصابوا في بعض ما فعلوا، وأخطأوا في إسنادهم التأثير للأسباب، حتى كان موجبا لنفرة المسلمين عن كلّ ما فعلوه عوضا عن نفرتهم عن خصوص ما اعتقدوه في هذا الباب، وأيم الله إنه للغلط، والمبالغة في التعصب فقط، إذ لا تستباح نفوس نوع بني آدم مع التمكّن من صيانتهم، بمجرد سبق الكفار لهذا الاحتياط الواجب، وهو لا يتعلق بديانتهم، ولقد حضرت في مدة حياتي وهي تنيف على ستين، وقوع الوباء في الجزائر متفرقة على سنين، كان مجموع مدة تلك المحنة عشرين سنة، فشوهت خلقة الجزائر بعد أن كانت عذراء مستحسنة، فأقفرت معالم البلاد، وتشوشت أحوال العباد، واضمحلّ العلم وذوو الاستعداد، وانقرض من العساكر من كان عدة في العمران والفلوات، وخلف جميعهم بعد العناء خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فغشي فيها يومئذ الفساد، واكتهل واتّسع الخرق، ولم يبق للرّاقع محلّ، فيا لها من رزيّة تقشعرّ لها الجلود الحساسة، ويا لها من خسارة ومبدؤها إيراد ممرض على مصحّ، كما أن مبدأ الحريق شرارة..."[15].

ثالثا: موضوعات المخطوط.

تحدّث المؤرخ الجزائري الكبير أبو القاسم سعد الله رحمه الله في كتابه الموسوعي "تاريخ الجزائر الثقافي" عن مضامين هذا المخطوط، ولذلك فإنّي أجدني مضطرّا إلى أن أعطي القوس باريها، وأفسح المجال لعملاق تاريخ الجزائر إذ يقول رحمه الله: "إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز من الوباء: وهو من تأليف حمدان بن عثمان

خوجة حوالي 1837 (1252). وقد رد فيه على المتزمتين الذين لا يقبلون بالتغيير، وعلى المتوكلين الذين يتركون كل الأمور إلى مشيئة الله، فلا يتخذون حذرا، ولا يقدمون الأسباب لتفادي الأوبئة والطواعين. وثقافة خوجة المعاصرة تجعله خير من يكتب عن الموضوع. فقد عاش في الجزائر وتجول في المشرق وفي أوروبا قبل وبعد الاحتلال الفرنسي لبلاده. وكتب هذا الكتاب بعد هجرته إلى إسطانبول. وندد حمدان خوجة بالمسلمين القاعدين، الذين كانوا يعتقدون أن طُرُق الوقاية إنما هي من مبتكرات الفرنجة (النصارى)، ولذلك فهي غير واجبة على المسلمين في زعمهم. ولا شك أنه كان يقصد بذلك علماء الوقت الذين رفضوا الإصلاح. ونحن هنا نجد خوجة ساخطا على علماء المسلمين بشأن الطرق الصحية كما ثار زميله ابن العنابي بهم في شأن الطرق العسكرية.

ذكر حمدان خوجة أنه شهد نزول الوباء بالجزائر حوالي عشرين مرة أثناء حياته، وفي كل مرة كان الوباء يصيب المئات وربما الآلاف، ويشوه وجوه الناس ووجه البلاد. فاضمحل نتيجة ذلك، العلم وأقفرت المعالم وانقرض العسكر، (لا يرد الممرض على المصح) لأن مبدأ الحريق شرارة. ولو اتبع الناس التعاليم الدينية والعقلية لما أصابهم الوباء. ولفت خوجة أنظار قومه (وكأني به يخاطب علماء المشرق وسياسييه) إلى أن الغربيين (الإفرنج)، قد اتخذوا طرق الوقاية وتحرزوا غاية التحرز فلم يعانوا من إصابات الوباء، وظهر خوجة كأنه يتكلم على لسان ابن خلدون، حين قال إن الغربيين قد توارثوا الصنائع المهمة، وزاد آخرهم فيها على أولهم، وطالت أعمارهم، وتوفرت عساكرهم ومتاجرهم (اللتان عليهما المعول) بينما ضعف حال المسلمين. وبعد هذه المقارنة الواضحة قال خوجة إن الغربيين قد استغنوا عن قتال المسلمين بقلة حزمهم، وبذلك أصبح المسلمون يخربون بيوتهم بأيديهم، لأنهم جعلوا من الضعف قوة ومن السراب قوتا. وأفكار خوجة هنا تدل على أنه كان داعية تغيير في مختلف الميادين التي ضعف فيها حال المسلمين. ويجب أن نتذكر أن خوجة كان يكتب بعد حروب الصرب واستقلال اليونان وغيرها من الأحداث التي أضعفت الدولة العثمانية، وكشفت عن ضعف المسلمين، واكتسب منها الإفرنج قوة. ولما كان خطابه في الحقيقة للخاصة (العلماء ومشائخ الإسلام، كما يسميهم) وليس للعامة، فإنه تمنى أن يقرأوا كتابه بعين الإنصاف، وأن يكتبوا عنه إذا أخطأ.

وكتاب (إتحاف المنصفين) يضم مقدمة وثلاثة أبواب. فالمقدمة حول مسائل عامة كدفع الأذى والتسبب والعلل. وقضية تقدم الإفرنج في العلوم الرياضية والطبيعية. وجعل خوجة المقارنة تظهر كأن المسلمين تأخروا لأنهم متمسكون بدينهم ومتخلون عن دنياهم، وإن أهل الغرب تقدموا لأنهم تخلوا عن دينهم واعتنوا بأمور دنياهم. وهو طبعا لا يريد ذلك. ثم ذكر حقيقة الاحتراز من الوباء بطريق (الكرنتينة) وخاطب في ذلك الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم) وطالب بتطبيق هذه الطريقة بتوفير الصحة وضمان المعاش وقوة الدولة.

أما أبواب الكتاب الرئيسية فهي:

1 - الأدلة النقلية والعقلية على جواز الفرار من الوباء.

2 - جواز الاحتراز من الوباء شرعا.

3 - بيان تطبيق (الكرنتينة)، وفيه ناقش خوجة ما إذا كان ذلك يتعارض مع الدين الإسلامي، ثم بين كيف طبق الغربيون ذلك. وبعد الخاتمة دعا المسلمين إلى المبادرة بتطبيق الاحتراز، عند مداخل عاصمة الدولة (اسطانبول) والاستعانة بتجارب الغربيين في هذا الميدان. كما رد على من زعم أنه لا يجوز الاستفادة من الأجانب.

ورغم أهمية الكتاب فإنه غير مدروس وغير معروف، وربما يرجع ذلك إلى عنوانه غير المباشر أو إلى الموضوعات العديدة التي احتواها. وكانت نسخة منه عند محمد بن أبي شنب فسلمها إلى جورج ايفير الذي نشر دراسة مستفيضة عن حمدان خوجة ومذكرته سنة 1913. وقد استحق ابن شنب ثناء ايفير لأنه ترجم له ما يتعلق بالحجر الصحي، والإهداء إلى السلطان، وبعض التفاصيل عن حياة المؤلف نفسه. وجاء في ترجمة حمدان خوجة التي كتبها عمر راسم أن نسخة من كتاب الإتحاف كانت موجودة (بالعربية والتركية) عند عمر خوجة الجد، القاطن ببئر مراد رايس، وربما كانت بخط خوجة نفسه"[16].

رابعا: تحقيق صحّة نسبة المخطوط للمؤلّف

نسبة المخطوط إلى المؤلّف –رحمه الله- صحيحة لا شكّ فيها، ويدلّ على ذلك عدد من الأدلّة:

الأول: أنّ الناسخ ذكر اسم المؤلف في غلاف المخطوط.

الثّاني: أن المؤلف ذكر اسمه كاملا في أثناء الكتاب.

الثالث: إجماع كتب الفهارس والتّراجم على صحة نسبة الكتاب للمؤلّف رحمه الله.[17]

خامسا: وصف النّسخ الخطيّة.

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسختين:

النسخة الأولى: نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس

وهي نُسخةٌ وَاضِحةٌ جيّدة، محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية في مديمة باريس، في فرنسا.

عدد اللوحات: 35 لوحة.

نوع الخطّ: نسخ حديث.

عدد الأسطر: 21 سطرا.

المسطرة: 18× 32.

حالة النّسخة: جيّدة.

النّاسخ: غير مذكور.

تاريخ النّسخ: غير مذكور.

النسخة الثانية: طبعة أسطنبول سنة 1838م

وهي طبعة قديمة، نشرت في أسطنبول سنة 1838م، عدد صفحاتها ثمان وسبعون صفحة من الحجم المتوسط.

وقد طبعت في حياة المؤلف، ومثل هذه الطبعات يعتبرها علماء التحقيق من النسخ الخطية التي ينبغي اعتمادها في التحقيق، وذلك لجملة من الاعتبارات:

الأوّل: أنّ المؤلّف معاصر، وقد تزامن تأليفه للكتاب مع ظهور الطّباعة، وفي هذه المرحلة لم تعد هناك حاجة للنّسخ الخطيّة؛ لأنّ الكتاب الذي يكتبه المؤلِف يقدّم إلى الطّباعة في المطبعة، فتغني طباعته عن النّسخة الخطيّة للمؤلِف.

الثّاني: أنّ الكتاب طُبِع في حياة المؤلِف، وهو أمر يدعو إلى الاطمئنان والثّقة بنصّ الكتاب، إذ لو كان فيه شيء من الخلل لبيّنه المؤلّف وأوضحه.

الثّالث: أنّ المشتغلين بالتّحقيق من المعاصرين يعتبرون مثل هذه الطّبعات المطبوعة قديما نسخة خطيّة، قال الأستاذ عبد السّلام هارون –رحمه الله-: "والنّسخ المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذّر الوصول إليها يُهدِرُها كثير من المحقّقين، على حين يعدُّها بعضُهم أولاً ثانويّة في التّحقيق، وحجّتهم في ذلك أنّ ما يُؤدّى بالمطبعة هو عينُ ما يؤدّى بالقلم، ولا يعدو الطّبع أن يكون انتشاخا بصورةٍ حديثة، وإنّي لأذهب إلى هذا الرّأي مع تحفّظ شديد، وهو أن يتحقّق الاطمئنان إلى ناشر المطبوعة والثّقة به"[18].

الرّابع: أنّ مثل هذا الكتاب الذي طبع قديما في حياة مؤلّفه يعتبر النّسخة الأمّ للمخطوط؛ لأنه طبع في حياة المؤلِف، وبإجازته، وتحت نظره، قال الأستاذ عبد السّلام هارون –رحمه الله- في هذا الصّدد: "أعلى النّصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا، حاملة عنوان الكتاب، وجميع مادّة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلِف، وكَتَبَها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها، ويكون في النّسخة مع ذلك ما يُفيدُ اطّلاعه عليها، أو إقراره لها... وأمثال هذه النّسخ تُسمّى نسخة الأمّ"[19].

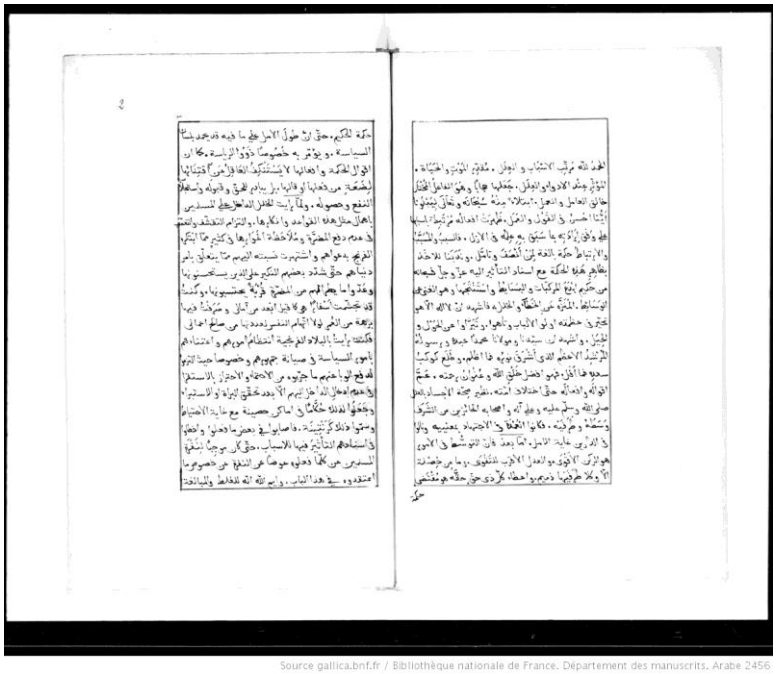

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des manuscrits. Arabe 2456

صورة الورقة الأولى من نسخة باريس

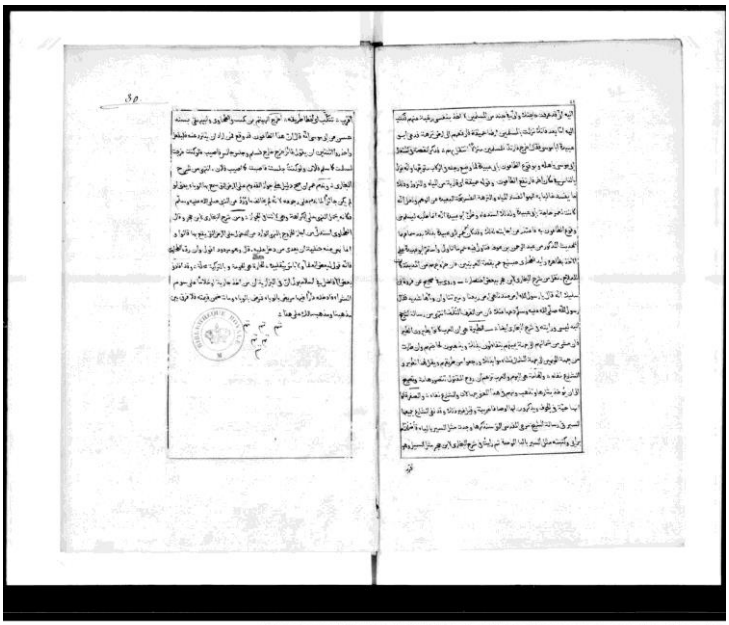

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France, Département des manuscrits, Arabe 2456

صورة الورقة الأخيرة من نسخة باريس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مرتب الاسباب والعلل * مقدر الموت والحيوة المؤثر
عند الادواء والعلل * جعلها حجابا وهو الفاعل المختار خالق
العامل والعمل * ابتلاء منه سبحانه ليبلونا اينا احسن فى القول
والعمل * ظهرت افعاله مرتبطة باسبابها على وفق ارادته
بما سبق به علمه فى الازل * فالسبب والمسبب والارتباط حكمة
بالغة لمن انصف وتأمل * وندبنا للاخذ بظاهر هذه الحكمة
مع اسناد التأثير اليه عزوجل * فسبحانه من حكيم ابدع المركبات
والبسائط * واستنتجها وهو الغنى عن الوسائط * المنزه عن
الخطاء والخلل * فاشهد ان لااله الاهو * تحير فى عظمته اولو
الالباب وتاهوا * وتبرؤا عن الحول والحيل * واشهد ان سيدنا
ومولانا محمدا عبده ورسوله المرشد الاعظم * الذى اشرق نوره
فاظلم * وطلع كوكب سعده فافل * فهو افضل خلق الله
وعنوان رحمته * عم اقواله وافعاله حتى اختلاف امته * نظير صحة
الاجساد بالعلل * صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الحائزين

من

Digitized by Google

صورة الورقة الأولى من طبعة أسطنبول

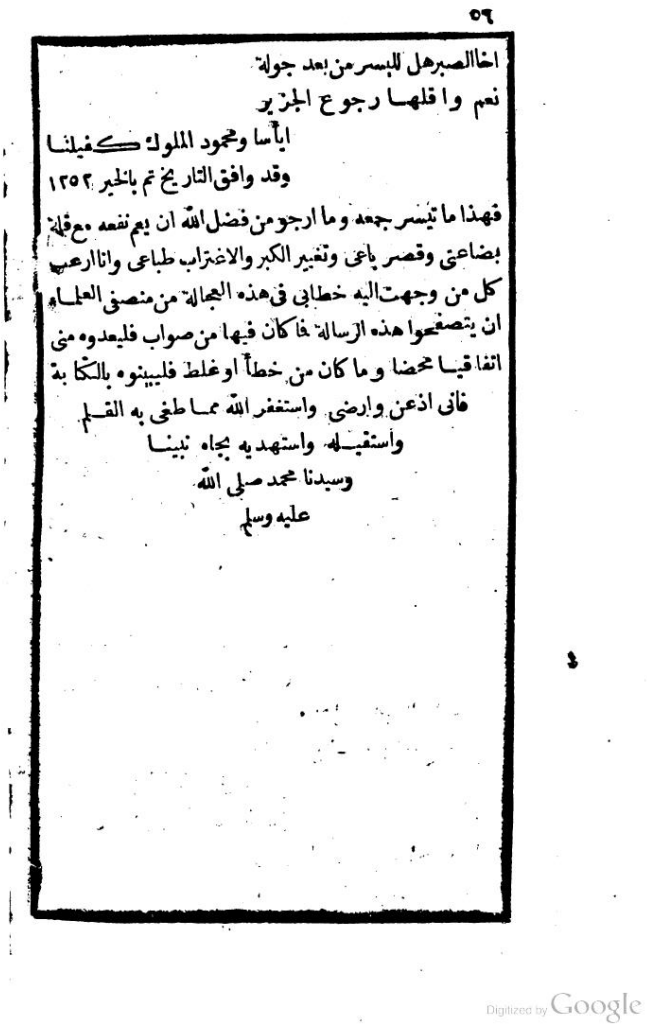
٥٩

اخا الصبر هل للبسر من بعد جولة
نعم وا قلها رجوع الجزير
ايأسا ومحمود الملوك كفيلنا
وقد وافق التاريخ تم بالخير ١٢٥٢
فهذا ما تيسر جمعه وما ارجو من فضل الله ان يعم نفعه مع قلة
بضاعتي وقصر باعي وتغير الكبر والاغتراب طباعي وانا ارهب
كل من وجهت اليه خطابي في هذه المجالة من منصفي العلماء
ان يتصفحوا هذه الرسالة فما كان فيها من صواب فليعدوه مني
اتفاقيا محضا وما كان من خطأ او غلط فليبينوه بالكتابة
فاني اذعن وارضى واستغفر الله مما طغى به القلم
واستقيله واستهديه بجاه نبينا
وسيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم

Digitized by Google

صورة الورقة الأخيرة من طبعة أسطنبول

خاتمة

توصّلتُ في هذا البحث إلى جملة من النّتائج المهمّة:

- لم يحظ هذا المخطوط بالدّراسة والتحقيق من قبل، رغم قيمته الشرعية والطبية.
- نسبة المخطوط للمؤلّف صحيحة، لا غبار عليها.
- تضمّن المخطوط دراسة شرعية لموضوع الطاعون والوباء، ووجوب الاحتراز والتوقّي منه شرعا.

التوصيات

- يكتسي العمل على تحقيق المخطوطات وخدمة التّراث أهمّية كبيرة، ولذلك فإنه ينبغي توجيه عناية الباحثين في الدّراسات العليا إلى مثل هذه البحوث والدّراسات التي تهتمّ بفهرسة المخطوطات وتحقيقها وطباعتها ونشرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

قائمة المصادروالمراجع

1. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
2. بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة-الرياض، في المملكة العربية السعودية، دط، دت.
3. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله (المتوفى: 1435هـ)، دار البصائر للنشر والتوزيع-الجزائر، ط: 2007م.
4. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مصر: مكتبة الخانجي، ط: 7، 1998م.
5. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27, 1415هـ /1994م.
6. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.
7. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي (711هـ)، بيروت: دار صادر، ط: 3 (1414هـ).
8. معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط: 1، 1422هـ - 2001م.
9. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ - 1928م.
10. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (1408هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، د ط.
11. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
12. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (1399هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، دط.

المجلات

13. أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون لأبي عبد الله محمَّد بن الحسن بن مسعود البنَّاني الفاسي المغربي المالكي (ت:1194هـ) دراسة وتحقيق، عطاء الله فؤاد، ديسمبر 2018م، مجلة التراث، الجزائر، جامعة زيان عاشور في مدينة الجلفة، المجلد: 7، العدد: 29.

الإحالات:

(1) انظر: أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون، لمحمَّد بن الحسن بن مسعود البنَّاني الفاسي المغربي المالكي (ت:1194هـ)، فؤاد عطاء الله، مجلة لتراث، العدد، 29، 2018م، ص: 757.

(2) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، 418/8، ومقاييس اللغة، لابن فارس، 267/13، ولسان العرب، لابن منظور، 189/1.

(3) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، 15/2، لسان العرب، لابن منظور، 267/13.

(4) البيت نسبه الخليل بن أحمد الفراهيدي للنابغة، انظر: العين، 15/2.

(5) أوراقٌ وفوائدُ في أحكام الطَّاعون لمحمد بن الحسن البناني دراسة وتحقيق، د. فؤاد بن أحمد عطاء الله، بحث منشور في مجلة التراث، العدد: 29، ديسمبر 2018م، ص: 10.

(6) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، 36/4.

(7) انظر ترجمته في: هدية العارفين، للبغدادي، 335/1، وإيضاح المكنون، للبغدادي، 20/3، ومعجم التاريخ، للقرة بلوط، 1035/2، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 75/4، ومعجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137، وتاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، 253/7.

(8) معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137.

(9) معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137، 138.

(10) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 75/4.

(11) معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137.

(12) هدية العارفين، للبغدادي، 335/1، وإيضاح المكنون، للبغدادي، 20/3، ومعجم التاريخ، للقرة بلوط، 1035/2، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 75/4، ومعجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137، وتاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، 253/7.

(13) معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137.

(14) هدية العارفين، للبغدادي، 335/1، وإيضاح المكنون، للبغدادي، 20/3، ومعجم التاريخ، للقرة بلوط، 1035/2، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 75/4، ومعجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137، وتاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، 253/7.

(15) النسخة الخطية، اللوحة 2، الوجه ب، واللوحة 3، الوجه أ.

(16) تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، 253/7- 255.

(17) هدية العارفين، للبغدادي، 335/1، وإيضاح المكنون، للبغدادي، 20/3، ومعجم التاريخ، للقرة بلوط، 1035/2، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 75/4، ومعجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، ص: 137، وتاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، 253/7.

(18) تحقيق النّصوص ونشرها، للأستاذ عبد السّلام هارون، ص:31.

(19) المرجع السّابق: ص: 29.